



الوصف عند الكاتب أحمد نصر - رواية "القرية التي كانت" أنموذجا

عمران عوض بن روبن

الملخص:

الوصف أحد مكونات الخطاب السردى، وله أثره بما يضيفه من قيمة جمالية وفنية داخل النص الأدبي؛ وفي هذا البحث حاولت التعريف بالوصف وبنيتة ووظائفه وعلاقته بالسرد كما نظر لذلك المهتمون حيث قالوا: بأن النص السردى جَماع خطابات ولكل منها بنية وأساليب ووظائف مخصوصة، وإن براعة الكاتب تظهر في توفير ضرب من العلاقة بين مكون الوصف ومكون السرد. كما نتعرف على كيفية اندراج الوصف بالسرد (الوصف عن طريق القول - الوصف عن طريق الفعل - الوصف عن طريق الرؤية)، وكذلك نتعرف على بنية الوصف (النظام الوصفي - المقطع الوصفي - بينية الوصف الأساسية - بنية الوصف المقطعية)، وأخيراً نتعرف على وظائف الوصف في نوعيها: الوظائف الحكائية وهي: التعليمية أو الإخبارية - التمثيلية أو التصويرية - السردية. والوظائف الدلالية وهي: الإشارية - الرمزية - التعبيرية - القيمية أو الأيدولوجية - الجمالية أو التزيينية أو الزخرفية - الإبداعية.

يُعد نص رواية ((القرية التي كانت)) للكاتب أحمد نصر نموذجاً ثرياً لتقنية الوصف، وقد استخدم فيه الوصف بأنماطه المختلفة ووظائفه المتعددة التي تأسر المتلقي أو القارئ، وتجعله يعيش الأحداث بزمانها ومكانها.

بسم الله الرحمن الرحيم

الوصف

هذه قراءة لرواية "القرية التي كانت" للكاتب أحمد نصر" نحاول من خلالها معرفة أثر الوصف وما يضيفه من قيمة جمالية وغيرها داخل النص الأدبي، وباعتباره الوصف مكوناً أساسياً من مكونات الخطاب السردي نقدم ملخصاً نعرف فيه بالوصف وبنيته، ووظائفه، وعلاقته بالسرد، كما ورد لدى المهتمين بذلك كجانب نظري حتى يتسنى لنا الخوض في المجال التطبيقي لتحقيق الغاية من القراءة.

أولاً: الجانب النظري:

1- مفهوم الوصف:

- الوصف لغة:

هو كما جاء في لسان العرب في مادة وصف "الوصف وصفك الشيء بجليته ونعته" وهو يعني الإبانة والإظهار⁽¹⁾.

وفي المعجم الفرنسي: مادة تعني "فعل الوصف أو تعداد مميزات أو خاصيات شيء ما أو شخص ما، وهو في العمل الأدبي يعني رسم أو وصف الأشياء المحسوسة وصفاً حياً ومؤثراً⁽²⁾".

(1) لسان العرب - ابن منظور - دار بيروت للطباعة والنشر - 1968 - المجلد التاسع - ص 356-357.

(2) مليكة بوجفجوف - بنية الوصف ووظائفه في ألف ليلة وليلة حكايتنا: "الجمال والثلاث بنات" و "السندباد البحري" رسالة ماجستير في الأدب العربي القديم - كلية الآداب واللغات جامعة منتوري - قسنطينة - الجزائر - السنة الجامعية 2008-2009 - ص 27-28 - شبكة المعلومات.



- المعنى الاصطلاحي:

إن الوصف ارتبط منذ القدم بمفهوم المحاكاة والتصوير وذلك بتناول الأشياء في أحوالها و هيئاتها المختلفة . فقد جاء عند قدامة بن جعفر بقوله (الوصف إنما هو ذكر الشيء بما فيه من الأحوال و الهيئات)⁽¹⁾. وحديثاً لم يكن هناك تعريف واضح وشامل للوصف لدى النقاد في الأدب الحديث عبر الدراسات الأدبية للنص الأدبي، فقد جاء في المعجم السيميائي المعقلن لنظرية اللغة "نسمى وصفاً في مستوى التنظيم الخطابي كل مقطع يحتل حيزاً نصياً مثله مثل الحوار والحكي والمشهد ... إلخ، نفترض ضمناً إن خصائصه الشكلية تسمح بإخضاعه لتحليل الوصفي، في هذا المعنى يمكن اعتبار الوصف تعييناً وقيماً لموضوع يستوجب تحديده. وعرفه فيليب هامون قائلاً: "يمكن أن نعرف الوصف مؤقتاً كتوسعه للقصة [...] ملفوظ متصل أو متقطع، يوجد من وجهة نظر المحمولات والموضوعات والذي لا تفتح نهايته أية [لا] توقعيه بالنسبة لتتابع السرد ولا يدخل [إجمالاً] في أية جدلية لأصناف مكمل (ملحقة) وموجهة"⁽²⁾. و عرفته سيزا قاسم بكونه (يتناول ذكر الأشياء في مظهرها الحسي و يقدمها للعين، و هو لون من التصوير، يمثل بالأشياء و الألوان والظلال . . فإذا تفرد الرسم في تقديم هذه الأبعاد بالإضافة إلى الحس، فإن اللغة قادرة على استحياء الأشياء المرئية و غير المرئية مثل الصوت والرائحة)⁽³⁾.

2- علاقة الوصف بالسرد:

النص السردى جماع خطابات تكوينية متغايرة متنافرة ينفرد كل منها ببنية وأساليب ووظائف مخصوصة، من هذه الخطابات الوصف، وإن براعة الكاتب تظهر في توفير ضرب من العلاقة الطبيعية بين مكون الوصف ومكون السرد، وقد علل ميشال أدام البراعة، باستحالة تجنب الوصف وعسر التحكم فيه، وبأن الوصف في صراع دائم بين النظام السردى والشعري اللذين يجب عليه أن يندرج فيهما، فهو رغم كونه توسعة طبيعية لوظيفة اللغة التصويرية، لا يلائم في الواقع جمالية أدبية مؤسسة على قيم سائدة هي قيم النظام والحركة والتناسق، والحركية أو الدينامية.⁽⁴⁾

(1) قدامة بن جعفر - نقد الشعر - تحقيق محي الدين عبد الحميد - دار الكتب العلمية بيروت - لبنان - ص 130.

(2) فليب هامون - في الوصفي - ترجمة سعاد التريكي - ص 45 - شبكة المعلومات.

(3) سيزا قاسم - بناء الرواية - الهيئة المصرية للكتاب - الطبعة الأولى - 1993.

(4) محمد نجيب العمامي - كتاب في الوصف - دار محمد علي للنشر - تونس - الطبعة الأولى - 2005 - ص 58.

هذا واختلف الباحث في قراءتهم لهذه العلاقة، فيرى البعض التباعد بينهم حتى يبدو أنهم على طرفي نقيض بينما يرى آخرون التقارب إلى حد التداخل والالتباس.

فمثلاً جيرار جينيت يقول: "يمكن دونما غموض يذكر تصور نصوص وصفية خالصة موقوفة على تمثيل الأشياء في حدود كينونتها الفضائية خارج أي حدث، بل وأي بعد زمني، وإنه لمن السهولة بمكان تصور وصف خالٍ من أي عنصر سردي أكثر مما يمكن تصور العكس (...). فجملة مثل: المنزل أبيض بسقف من لوح مزرق وبمصراعين أخضرين) لا تحوز أية سمة سردية مميزة.

غير أن جيرار جينيت لم يلتزم بما يقوله حول علاقة الوصف بالسرد، فهو خلافاً لما أوردناه، يقول: "... إن السرد لا يقدر على تأسيس كيانه بدون وصف غير أن هذه التبعية لا تمنعه من أن يقوم باستمرار بالدور الأول، فليس الوصف في واقع الحال سوى خلدتم لازم للسرد".

وهو يرى أن الوصف والسرد طريقتان مختلفتان للتمثيل الأدبي تفتقران في الطريقة والكيفية، وتنفقان في الغاية أو الهدف.

وهو ما يؤكد جان ريكاردو "تعلم أنه وفيما يتعلق بالنص، فإن طريقتي العرض الرئيسيتين فيما يبدو هما الوصف والسرد، ينهض الأول بتقدم الأشياء والثاني بعرض الأقوال".

أما فيليب هامون، فقد بحث القضية من وجهة أخرى، حيث أنه نظر من زاوية أولى إلى أهم الفوارق التي تميز الوصف عن السرد، والعكس كذلك، وذلك على مستويات عدة، وبحث من زاوية أخرى في أساليب تطويع الوصف وتبرير اندراجه في السرد.⁽¹⁾

3- اندراج الوصف في السرد:

وفيه يدرس منازل الوصف وضوابطها، أو المواطن التي تحتلها مقاطعه في النص السردي، وكذلك معلنات حدي المقطع الوصفي تعد البداية من أهم مواطن الوصف، وغالباً ما ينهض فيها بوظيفتين: تأطير الأحداث من جهة المكان والزمان، والتعريف بأهم القائمين بها، ويمكن اعتبار البداية الموالية نموذجية، ففيها وصف المكان والزمان والشخصية، وفيها تدرج من العام إلى الخاص، وقد يحتل المقطع الوصفي بدايات الفصول ونهاياتها وقد يحتل مواضع أخرى، يقول فيليب هامون: "إن النص الروائي ينزع إلى إبراز المقاطع الوصفية في مواطنه

(1) مليكة بوجحوف، المصدر السابق، ص 33-34.



الاستراتيجية، أي في حديه الخارجيين بدايته ونهايته وفي حدوده الداخلية، مثل: حدود الفصول ومواطن التخلص من مقطع إلى مقطع مغايراً ومن نمط تبئير إلى نمط مخالف أو من قصة إطار إلى قصة مضمّنة... إلخ⁽¹⁾

4- معلّات حدي المقطع الوصفي:

كلما تنقلت شخصية مهمة أو دخلت مكاناً أو خرجت منه، وكلما اجتازت عتبة أو حداً توفرت مناسبة لإدراج الجديد في النص فينطلق بالتالي الوصف، وهذه المناسبات وغيرها حين يلجأ إليها الكاتب لتبرير اندراج الوصف في السرد يقول آدام: "في القصص الواقعي لنقل الواضح تحتاج المقاطع الوصفية الطويلة نسبياً على أن تكون مبررة بملفوظات ممهدة (...). تهدف إلى محو الفواصل وسد الثغرات بين المقاطع التي يهيمن فيها السرد، وتلك التي يغلب عليها الوصف".

وقد سمى هامون هذه الملفوظات الممهدة ملفوظات سردية مزيفة، وسمّاها إيريك لوكالفاز واصلات سردية وصفية⁽²⁾.

5- أنماط الوصف:

يختلف نمط الوصف باختلاف القناة التي تعتمد عليها الشخصية المطية:

أ- الوصف عن طريق القول:

ويشترط أن تكون الشخصية عارفة بموضوع وصفها، مالكة للمعجم المناسب قادرة على أن تستخدم منه ما يفني بالحاجة، وما لا يقف حاجزاً أمام التواصل مع السامع، وقد يرد هذا الوصف في شكل حوار تعليمي، ومن وظائف هذا النمط تبرير اندراج الوصف في سياق سردي، كما أنه من مقتضياته توفر مجموعة شروط في الشخصية التي يغوص إليها الوصف عن طريق القول حسب التخطيط الآتي: الرغبة في القول ← معرفة القول ← القدرة على القول ← القول ← الوصف⁽³⁾.

(1) محمد العمامي المصدر السابق، ص 63-64.

(2) محمد العمامي المصدر السابق، ص 63-64.

(3) محمد العمامي المصدر السابق، ص 63-64.

ب- الوصف عن طريق الفعل:

الرغبة في الفعل / القدرة على الفعل / معرفة الفعل ← الفعل (الوصف) مثلما استخلص هامون من القصة الواقعي مخططا يمثل القاعدة المتبعة في الوصف عن طريق القول انتهى إلى ضبط التخطيط الذي يتبعه في نمط القصة نفسه الواصفون عن طريق الفعل. ووصف الشخصية وهي تعمل أو تفعل من الحيل والأساليب المتوخاة لتبرير الوصف وإدراجه في السرد إدراجاً شبه طبيعي، وهذا النمط يعرف لدى الغربيين بالوصف الهومييري نسبة إلى هوميروس الذي وصف درج أخيل بسلسلة من الأفعال التي تتطلبها عملية صنعها⁽¹⁾.

ج- الوصف عن طريق الرؤية:

"كل وصف قناته إحدى الحواس الخمس، وفيه توكل الرؤية إلى الشخصية مشاركة في الأحداث تيسيراً للانتقال من السرد إلى الوصف وإيهاماً بواقعية الموصوف والمروي". ويرى فيليب هامون أن الوصف عن طريق الرؤية يكون من التخطيط الآتي: الرغبة في الرؤية ← معرفة الرؤية ← القدرة على الرؤية ← الرؤية / الوصف، وتبين النصوص أن الرائي يمكن أن يكون ثابتاً مستقراً أو متنقلاً متحركاً⁽²⁾.

6- بنية الوصف:

إن البحث في بنية الوصف تحده إجراءات مجموعة من المفاهيم القاعدية، أولها: يتعلق بمفهوم "النظام الوصفي هذا المفهوم الذي يحدد مقومات الفعل الوصفي عموماً.

وثانيها: مفهوم "المقطع" لأن البحث في خصوصيات البنية الشكلية لوحدة نصية ومحاولة كشف طرائق الاشتغال الداخلي لهذه الوحدة، بغض النظر عن علاقاتها بالوحدات النصية الأخرى، لا يتأتى إلا من خلال تعريف بنية نصية محددة على المستوى التشكيلي والمستوى الأسلوبي، بمعنى الأخذ بالبعد المقطعي للنص، ومن خلال ذلك يمكن أن نميز بين نوعين متعاضدين هما البنية الأساسية والبنية المقطعية⁽³⁾.

(1) محمد العمامي، المصدر السابق، ص 77.

(2) المرجع نفسه، ص 77-88.

(3) مليكة بوجحوف، المصدر السابق، ص 42.



أ- مفهوم النظام الوصفي:

يقول هامون إن كل نظام وصفي بما هو تصريف (تفعيل) لجداول مصغرة، هو مجموعة معادلات مترابطة، معادلة بين تعين (لفظ) وبين (مخزون من الألفاظ المتجاورة في شكل لائحة، أو المترابطة، أو الملحققة في شكل نص).

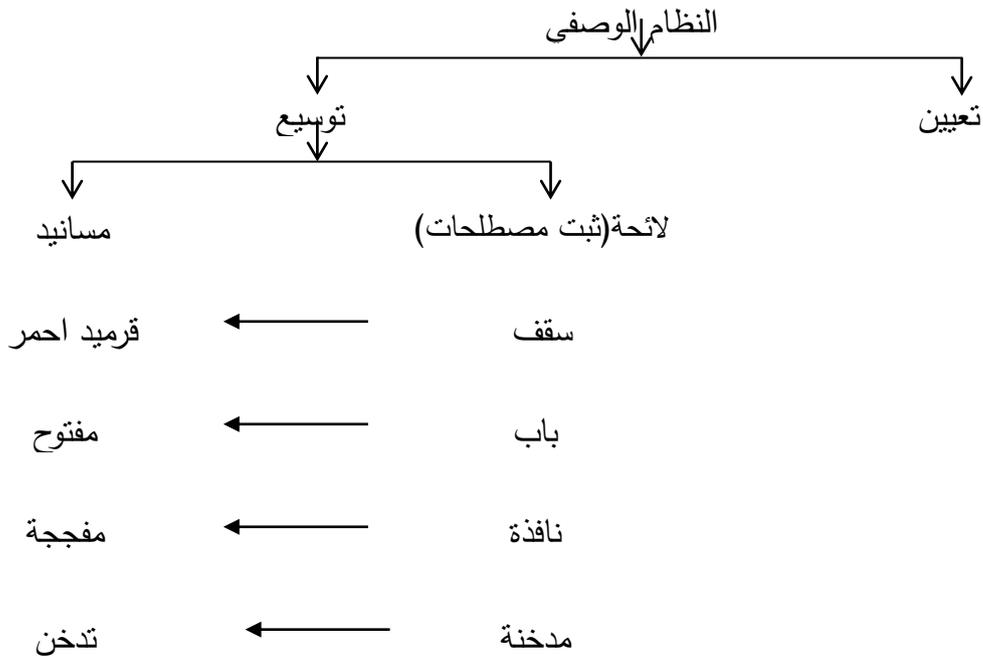
ب- مفهوم المقطع:

إن المقطع هو وحدة نصية مكونة من (جمل) (يجب عندئذ وصف بنيتها الداخلية ومكوناتها)، ووحدة مكونة (يجب في حالة النصوص المتضمنة لعدة مقاطع) وصف طرائق تسلسلها المقطعي⁽¹⁾.

ج- بنية الوصف الأساسية:

يقول العمامي "إن البنية الأساسية للوصف هي: مفهوم ينطبق على ملفوظات وصفية تتراوح من المركب الجزئي إلى وحدات نصية، وقد يبلغ حجمها لدى بعض الكتاب للصفحات"، ويتشكل الوصف داخل السرد أو النص عموماً فيكون:
أ. مفردة (كلمة واحدة).
ب. مركب نحوي جزئي (مسانيد).

ج. في شكل تعداد، والذي يتخذ شكل القائمة والتي ترجمه آدام في المخطط الآتي



(1) ملكة بوجفحوف، المصدر السابق، ص 42-44.

إن انتقال أو عملية التحول من التسمية إلى التوسعة في النظام الوصفي تتم وفق طرائق أو آليات مخصوصة ومحددة تسمى بالعمليات الوصفية الأساسية، "تكشف كيفية إنتاج الوصف وتقوم في نظر آدام، وبوتي جان، وريفارا وغيرهم، دليلاً على أن الوصف بنية وحدة وموحدة".⁽¹⁾

د- بنية الوصف المقطعية:

نقصد بالبنية المقطعية للوصف انتظامه في شكل مقطع يتمتع باستقلال نسبي، من حيث هو بيئة مخصوصة، لها تشكيلها الخاص، وحضورها المميز الذي يسمح بالتعرف عليها، وفصلها عن المقاطع السردية والحوارية وغيرها:

أ. بنية مقطعية مكتسبة ثقافياً وبالتالي مألوفة لدى السامع/القارئ اصطلاحاً على تسميتها بالبنية الفوقية.

ب. بنية مقطعية وليدة مناسبتها: غير مألوفة ويشار إليها بمفهوم تخطيط نص.⁽²⁾

7- وظائف الوصف:

يقول جرار جينيت: "إن دراسة العلاقات بين السرد والوصفي لا بد أن تعود في جوهرها إلى مراعاة الوظائف الحكائية للوصف، أي للمهمة التي تنهض بها الفقرات الوصفية في الاقتصاد العام للسرد".⁽³⁾ هذا وقد تباينت آراء وأقوال المتكلمين في السرد في عدد الوظائف كل حسب رأيه ونظراته، إلا أن محمد العمامي اختار أن يقارب موضوعه مقارنة نظرية فحاول أن يستوفي كل الوظائف التي يمكن أن يصطلح بها الوصف في نص سردي مدججاً ما يمكن إدماجه في باب واحد، وفاصلاً بين ما يجب الفصل بينه.

أولاً: الوظائف الحكائية:

1- الوظيفة التعليمية أو الإخبارية:

ويمكن أن نعد كل وصف هو تبادل معرفي، لأنه يتضمن دائماً اختياراً ومعلومات حول خصائص الموصوف وعناصره وحالاته، وهو "بامتياز الموضوع النص الذي تودع فيه المعرفة المتجمعة في ملفات وتحقيقات الروائيين"⁽⁴⁾.

(1) محمد العمامي، المصدر السابق، ص 112-115.

(2) مليكة بوجفجوف المصدر السابق، ص 46-98.

(3) مليكة بوجفجوف المصدر السابق، ص 46-98.

(4) محمد العمامي، المصدر السابق، ص 185.



2- الوظيفة التمثيلية أو التصويرية:

يرى الحبيب موسى أن هذه الوظيفة تكسب الوصف قيمة الوجود الضروري في صلب العمل الفني، بل - وهو مكتسب صفة التصويرية - بمثابة العين التي يطل منها المتلقي على عالم النص وهو يتحرك في الزمان والمكان⁽¹⁾.

3- الوظيفة السردية:

"ويقصد بها العوامل المسهمة في بناء الوحدة القصصية، أو المضيضة على العملية السردية حركتها وقيمتها الفنية"⁽²⁾، ويرى العمامي أن هذه الوظيفة مرتبطة بكل وصف له علاقة في وضع الحكاية، لأنه يثبت ويخزن معرفة حول المكان والشخصيات⁽³⁾.

ثانياً: الوظائف الدلالية:⁽⁴⁾

وهي وظائف لبعضها علاقة بالوظائف الحكائية، ولبعضها الآخر علاقة أوثق بالخطاب، ومضامين النص السردية.

1- الوظيفة الإشارية:

وهي ترتبط بما يسمى بالسرد التخيلي حيث أن الوصف يقيم علاقة حكائية مع السياق التخيلي، أكثر مما يقيم علاقة محاكاة مع المرجع الواقعي.

2- الوظيفة الرمزية:

يقصد بها "أن الوصف قابل لقراءتين حامل لمعاني قريبة وأخرى بعيدة خفية".

(1) محمد العمامي، المصدر السابق، ص188.

(2) محمد العمامي، المصدر السابق، ص190.

(3) محمد العمامي، المصدر السابق، ص190.

(4) محمد العمامي، المصدر السابق، ص196-213.

3- الوظيفة التعبيرية:

وهي التي يكون فيها "الوصف قائم على اختيار الموصوف والمنظور والمعجم، وهذا الاختيار بصمة من بصمات الذات الواصفة، وأثر من آثارها، ويؤدي المعجم دوراً أساسياً في التعرف على عواطف الذات الواصفة، وأحاسيسها من فرح وحزن وإعجاب واستنكار وغيرها".

4- الوظيفة الأيديولوجية أو القيمية:

فالوصف "يرتب ويصنف ولا يكون أبداً محايداً"، "وغالباً ما يكون محملاً لاختيارات الكاتب الجمالية والأيديولوجية، سواء عن طريق مضمون أو عن طريق بنيته وأشكاله".

5- الوظيفة الجمالية أو التزيينية أو الزخرفية:

يقول رولان بارت "إن هذا الوصف ليس خاضعاً لأية واقعية فلا أهمية لحقيقته أو لمشابته للواقع أيضاً، ... وهذا القيد أو الغاية التي يضطلع بها مثل هذا الوصف هي غائية الجميل".

6- الوظيفة الإبداعية:

"هذا الوصف يلغي وظيفتي المحاكاة ونشر المعرفة اللتين اضطلع بهما الوصف الواقعي، ليصبح العالم المقدم موضع شك إلى درجة أن القارئ (...) يدرك حيث ينتهي الوصف، أن هذا الوصف يترك شيئاً قائماً وراؤه، فقد أنجز في حركة مضاعفة من الإبداع والمحو، فالتخييل فيه يقوم على التلاعب بأصوات اللغة ومفرداتها، أي انطلاقاً من مادية المفردات ذاتها، كما أن الحكاية لا تصدر عن رؤية معينة للعالم بقدر ما تنتج من تتابع منظم لكلمات في تركيبها المضاعف شكلياً ودلالياً، كما أن المقابلة وصف/ سرد لم تعد موجودة، فالوصف يمثل دعامة حيوية في إنتاج القصة.

ثانياً: "الجانب التطبيقي للوصف في رواية "القرية التي كانت".

المقطع الأول:

الوصف بالفعل وهو وصف فيه أنسنة للأحداث الطبيعية فتظهر هنا فاعلة:

"القرية يجنبها الليل في أردانه يلف أزقتها و حواربها بهدأة سكون غامرة، نادراً ما يؤزه أزيز سيارة قادمة أو أغنية من مدياع عبر نافذة مفتوحة أو نحنة رجل، أو زعقة طفل، و من فوقها يطل القمر، يمسح دكنة الليل،



ويرش الأسطح، وأراضي الفضاء وبقايا الحقول بنور كوني لا يغيب إلا ليعود.. ومن ورائها تنهض المدينة زاحفة زاعقة بضوضائها وعنقها وعنقواها، عارية ترتدي الليل وتزين بالأضواء"⁽¹⁾

يتم الوصف في المقطع السابق عن طريق الفعل وهنا يتم أنسنة أشياء طبيعية، وتختلط في المشهد السابق الصورة البصرية بالسمعية حيث يصبح الصوت نفسه فاعلا. بينما من جهة الوظائف نجد هنا تحققا للوظيفة السردية، حيث يتم التعريف بمكان وقوع الأحداث وهي تلك القرية المركزية في هذه الرواية منذ بدايتها. لتتابع ذلك ونعرف أن زمن تلك الأحداث هو الليل.

من جانب الوظائف الدلالية فإن الوصف السابق يحقق وظيفة تعبيرية، فهو يعبر بشكل غير مباشر عن المشاعر المتباينة والمضطربة داخل الشخصية ابن القرية تجاه المدينة الزاحفة وشعوره بوطأة تأثير هذه المدينة على القرية الآمنة.

المقطع الثاني: وفيه الوصف عن طريق الرؤية:

المقطع التالي تظهر فيه الشخصية وتتابع ما تشعر به وهو ما يبدو قريبا من رأيت التي هي واجهة للنوع الثالث من الوصف وهو الوصف عن طريق الرؤية. لتتابع هذا المقطع:

"وهو من مكانه-وسط القرية - يرهف السمع فيأتيه صخب المدينة عبر غلالة الليل الساكن رجة واختلاجاً كمن يسمع- من بعد- هدير واد يقتحم الجفاف فجأة فيدحرج الصخور، ويقتلع الأشجار. يتخذ كرسيه في 'فيراندا' المدخل يرخي ذراعاً على طاولة "البلاستيك" البيضاء، ويترك الثانية مدلاة على مسند الكرسي، ويمد إحدى رجليه على كرسي آخر، يمنح نفسه حرية الاسترخاء يناوشه نسيم طافح من جهة المدينة فيحس به خليطاً من غبار القرية وعليم السيارات ويخاله حيناً هارباً من شواطئ البحر، عابرا امتدادات الأرياف فيستشعره ندياً نقياً مشبعاً برائحة زيت الزيتون وخبز التنور الساخن، تفيض في نفسه رائحة المعصرة في مواسم عصر الزيت ، فيستطعم في حلقه طعم 'البسيصة' ؛ يزدرد ريقه، ويذكر يوماً دخل فيه "الغول الآلي" القرية أول مرة، ليقوض بيت الحاج موسى، ويكنسه من الوجود في أقل من ساعتين، وكانت الضحية معه يومئذ زيتونة وارفة ونخلتين باسقتين، يومها تخلق رجال القرية وأطفالها حول الآلة المدمرة تغفر أفواههم الدهشة بعضهم أخفى وجهه وبعضهم حوقل وعض شفته السفلى".⁽²⁾

(1) احمد نصر، القرية التي كانت، دار الكتب الوطنية - بنغازي- ليبيا- الطبعة الأولى - 2011- ص5.

(2) احمد نصر، مرجع سابق، ص5.

الوصف السابق يحقق الوظيفة التمثيلية والتصويرية بحيث نكاد نشعر بما يحصل أمامنا من أشياء متمثلة مجسمة. الوظيفة السردية بعد المقطع السابق الذي فيه وظيفة تمثيلية؛ حيث يتم عمل استرجاع زمني يعيدنا لأزمنة قديمة لكي نتعرف على بعض الأحداث.

المقطع الثالث:

نحن هنا نتابع وظيفة سردية من جانب الوظائف الحكائية نتعرف من خلالها على عائلة الشخصية الرئيسية وعلاقته بأسرته، بينما من جانب وظائف الوصف الدلالية نجد بعدا تعبيريا يتمثل في تعريفنا بالشخصية الرئيسية ونمط سلوكه مع أسرته بشكل غير مباشر، كما يعبر عن محبتهم لبعضهم البعض وحسن علاقتهم الاجتماعية. وهنا تمهيدا للحوار بين العم وبنات أخيه نجد الوصف عن طريق الفعل، حيث يصف الراوي مناوشة الشخصية للفتاة.

"انتبه إلى الصبيّة قادمة إليه بكوب الشاي تهللت ملامح وجهه: يتناول منها الشاي ويشير إليها أن تجلس. ينبشها ويدخل معها في مداورة طفولية. تناكفا تناوشا تضاحكا رفرفت في بواطنه أجنحة محملية من ظلال الأسرة القروية فاستشعر دفء الانتماء البهيج. ربت على كتفها بحنان أبوي وقال:

كبرت يا فطيمة:⁽¹⁾

المقطع الرابع:

المقطع التالي يبدأ بالسرد ثم ينتقل الراوي فيه إلى للوصف عن طريق الفعل؛ حيث نتابع ما تقوم به الشخصية وهي تتحرك في المكان، ثم ينتقل للوصف عن طريق الرؤية (من جملة: ما بين شجيرات مهملة) من خلال الشعور لدينا بوجود رؤية خاصة فيما يتم تصويره من الشخصية، ثم ينتقل الراوي للوصف عن طريق القول منذ كلمة: (الشارع مازال ترابيا)؛ حيث الشخصية تتابع ما حصل على الشارع من تغييرات. لا نشعر بحضور رؤية خاصة من الشخصية فهي بذلك رؤية عن طريق القول يتم فيها وصف الشارع مع سرد تاريخ ما حصل له. ويحقق هذا الوظيفة التمثيلية وهي ضمن الوظائف الحكائية وينتقل في آخر هذا المقطع إلى الوظيفة التعليمية فنجد في نهاية المقطع ما يشبه التعريف بمفهوم الوقف وموقف أهل القرية من الأوقاف وكيفية التعامل معها.

⁽¹⁾ أحمد نصر، مرجع سابق، ص6.



"يشعل سيجارة وينهض يمتص نفساً ثانياً قبل أن يهبط الدرجتين، ويخطو بالمشى ما بين شجيرات مهملة الري والتشذيب، يفتح باب السور الموارد ويعبر إلى الشارع ويقف. يمتص نفساً آخر من سيجارته. الشارع مازال ترابياً، وإن أوسع ومُهد وحددت معلمه بلبن الأرصفة، وقد كان اتساع الشارع أمام بيته وبيت أخيه وما سامتتهما على حساب غوط الزيتون والنخيل، هذا الغوط الكبير الذي وإن كَشطت أطرافه الشوارع الحديثة فهو ما يزال فراغاً هائلاً بين البيوت الآخذة في التراصف حوله؛ ورغم خرائبه وانحسار الزمن عنه لم يجزؤ أحد من أهل القرية على المساس به: لأنه من أوقاف الجامع؛ والناس في القرى يقولون:

إذا مررت بأرض وقف فانفض قدميك من التراب قبل أن تغادرها"⁽¹⁾

المقطع الخامس:

يتكرر في هذا المقطع الوصف بالفعل، وهو خاص بوصف أفعال كائنات غير بشرية؛ بحيث تتحقق من جديد أنسنه المخلوقات المختلفة هنا ومنها القرية التي تتأهب للرحيل والقوز الذي ينهض وغيره:

لكن القرية تتأهب للرحيل، القوز ينهض، والمنخفض نزع ملكيته واحتله المشروع والشوارع تمهد للقطران، وغوط الجامع فراغ وحطام، ولعله على طاولة المهندسين؛ هذا الرحيل كان في يوم ما حلماً مستحيلاً.. ماذا جرى؟! .. تحقق المستحيل فهبطوا مع أحلامهم ليلوحوا بمناديلهم لموكب الرحيل؟! .. أم إنها الحركة والسكون.. الثابت و المتغير⁽²⁾.

ثم نجد في نهاية المقطع أن الزمن يتوقف لصالح السرد منذ بداية السؤال، وقد أعاد الراوي عن طريق السؤال السرد ليخبرنا بهذا الأسلوب السردى المميز عن الأحلام وغيرها. بينما من ناحية الوظائف الحكائية نجد هنا حضور الوظيفة السردية؛ حيث يتم إعلام القارئ بواسطة المقطع الوصفي السابق عن التحولات الحاصلة في القرية، بينما من جانب الوظائف الدلالية تبدو هنا الوظيفة الرمزية؛ حيث كل ما سبق ذكره من أحداث في القرية ترمز للتحول الحاصل في سنوات منتصف السبعينات عندما نزع ملكية عديد الأراضي لصالح الدولة.

(1) احمد نصر، مرجع سابق، ص 7.

(2) احمد نصر، مرجع سابق، ص 9.

المقطع السادس:

ويستمر الراوي _الشخصية (في ليل القرية) متحركا في المكان موظفاً للوصف أكثر من السرد؛ حيث الراوي ينجز عن طريق الوصف في بداية الرواية فضاءها المكاني الذي تحصل فيه تمهيدا للاهتمام بالسرد أكثر، لتتابع المقطع التالي:

انبتق ضوء مصباح الدكان قبل أن يتم عبدالمملك الدوران حول الغوط وبدا له جانباً من أرض الغوط ممهدا خالياً من الشوائب. كان صبية القرية قد أعدوه ملعباً لكرة القدم؛ فاستأنس لقطعه مختصراً الطريق.

توقف في ملعب الكرة يتأمل التقنية. عوارض من خشب وشباك تكسوها جعل يسير الملعب ويستبين حدوده تحت ضوء القمر المساحة شبه قانونية. وخطوط الجير تظهر في بعض الجهات وجذوع نخل تمتد على حافة الملعب مقاعد للمتفرجين. على أيامه كان اللعب في الشوارع الضيقة، والكرة حشية جورب مرتوق، والأقدام حافية.. والله زمان يا غبار القرية .. يا رائحة خبز التنور عند المساء ... و يا عطر العرائس في مواسم الأفرح .." (1)

في المقطع السابق نعلم من كلمة بدا وكلمة يتأمل أن الوصف يتم عن طريق رؤية الشخصية للملعب ثم يعود ليصف ما يحدث في أيامه عن طريق الوصف بالفعل: "كان اللعب في الشوارع الضيقة والكرة حشية جورب مرتوق والأقدام حافية ..."

وهي من ناحية الوظائف الحكائية تدخل ضمن الوظيفة التعليمية او الإخبارية عند توضيح حدود الملعب وما يجب أن يكون عليه، كما نتابع التحول للوظيفة التمثيلية عند وصف كيفية لعبهم الكرة في الماضي، كما نجدنا مع الوظيفة التعبيرية عندما نتابع لعب الكرة فهي تعبر عن الحميمية بينهم.

المقطع السابع:

في هذا المقطع -أيضاً - بعد السرد نجد وصف من نوع الرؤية لشخصية الحاج عاشور وهو يصلي، وهذا الوصف يتم لأشياء كلها قديمة متكررة أو لأشياء تبدلت يتم وصف كيف كانت صورتها كما تابعنا في المقطع السابق:

(1) أحمد نصر، مرجع سابق، ص9.



"كان الحاج عاشور يصلي العشاء على حصير أمام دكانه، لاذ عبدالمملك بوقفته عند مدخل الدكان يتأمل رجلاً يعبد الله. القامة كعهده بما نحيلة تأخذ في الانحناء، هو الحاج عاشور شيء من ثوابت القرية. كاد عبدالمملك ينفلت ضاحكاً للمعركة التي - كالعادة - تكبش مؤخرة رأسه؛ وكأنها مشدودة إليه بمغناطيس لا تقلقلها حركاته التي تستجوبه الصلاة ركوعاً وسجوداً."⁽¹⁾

من ناحية الوظائف الحكائية هذه الوظيفة السردية التي يتم فيها تصوير الحاج عاشور والتعبير عن استقرار القرية وعراقه أهلها وهو دلالي ما يدخل هذا المقطع في الوظيفة الرمزية وذلك لأن صورة الحاج عاشور بهذا الشكل تعبر عن الاستقرار في المكان وحضور شخصيات ثابتة تحقق عراقه المكان.

المقطع الثامن:

بعد حوار عبدالمالك والتاجر: الحاج عاشور يدخل الدكان لبعض الزبائن، وعبدالمالك يرى فيصف ما يراه، ثم تتحقق عودة زمنية للماضي (استرجاعاً زمنياً) للماضي ويكون الوصف فيه عن طريق الفعل، وهو فعل الشخصية الموصوفة، لتتابع ذلك هنا:

"فيما نهض عبدالمملك وتلفت على يمينه فانتبه إلى بناء أنجز حديثاً ينهض من داخل السور تحت غلالة القمر، فراح يعيد تصوراتهِ للبيوت الحائطة التي كانت مكانه .. لمن يكون؟ .. لفرج الدوح؟: هنا كان بيته؛ ويليه على نفس الامتداد خرابة للمرحوم عمه، وثبت إلى خاطره صورة الزعيم وعلى رأسه طاوية شنة، يجلس وراء مقود سيارة البلدية، يدخل بها شوارع القرية متعاطماً. يوقفها أمام بيته في الشارع الضيق. يمسح زجاجها، ويشور في وجوه صبية الجيران الذين يلتفون حولها، يضع يديه في وسطه عند مقدمتها، ثم يحرك شنته إلى الأمام حتى تلامس حاجبيه قبل أن يعبر قوس البيت الطيني"⁽²⁾

يبدأ الوصف عن طريق الرؤية من خلال عين عبدالمالك الرائي في (وتلفت عن يمينه فانتبه) ثم نجد ما يراه من أشياء يصفها، بينما تتم العودة عن طريق ما يثب إلى ذهن عبدالمالك من أفعال الشخصية (الزعيم) سائق سيارة البلدية ويبدأ ذلك في (وتثب على رأسه صورة الزعيم...)، بينما من جانب الوظائف الحكائية نحن نتابع الوظيفة السردية ويظهر لنا ما يخص شخصية الزعيم، ومن جانب الوظائف يبدو في هذا المقطع الوظيفة الإشارية عند الحديث عن البيوت وعن تلفت الشخصية إلى اليمين، ثم نتابع الوظيفة الرمزية التي تحقق البعد

(1) احمد نصر، مرجع سابق، ص10.

(2) احمد نصر، مرجع سابق، ص12-13.

الساحر عند الحديث عن شخصية الزعيم فالمقصود هنا ليس زعيما حقيقيا وإنما السخرية من الشخصية الذي يلبس لباس الزعماء دون وجود أي مقوم لذلك لديه.

المقطع التاسع:

المقطع التالي يحدث فيه نوع وصف الرؤية؛ حيث نستمر مع الشخصية وهو يتجول ويلحظ ما هو موجود في المنطقة من أشياء يعرفها قديما، يتابع صورتها حاليا ويعود إلى صورتها في الماضي؛ حيث يرى أولا السانية الأم وهي صور مميزة وخاصة يصفها الراوي من خلال تصوراتها، ثم حدة الشهداء، ثم يعود للماضي فيتذكر ما كانوا يفعلونه وهم صغارا، ومنتقل إلى وصف بالقول للشخصيات الصغيرة ينقلها لنا الراوي منظما لها وهي ترسم في ذهن الشخصية، ثم يناقش الشخصية فيها وهو يتحدث عما يتذكره منها وما ينساه.

"تجاوز سور عائلة الدوح فبدت على يساره السانية الأم ترفع جناحاً وتخفض الآخر تحت مسحة الليل الممطر. ومن ورائها تغم حدة الشهداء المكلفة بالعوسج والصباب والمهابة، تبدو كغيمة دكناء حطت على وجه الأرض. هل يذكر-اللحظة-أياماً كان خلالها إذا ما مر مع رفاقه الصبيان بجانبها يتطلعون إلى أكوام من الحجارة والطين ناتمة بين دغل، ويشيرون: هذا جدي. هذا جدك ذاك استشهد في رأس الطوبة، وهذا أعدمه الطليان في منحدر القوز.. تراه لا يذكر؟!.. تراه ينسى؟! حتى لو نسي فالرواسب لا تتبخر، والذكرى ترج القيعان".⁽¹⁾

من جانب الوظائف الحكائية يبدو أن الراوي يقوم بعملية استحضار بالسرد لقصص الأجداد المجاهدين ووصفاً للمكان بينما دلاليا نجد حضور الوظيفة القيمية الإيديولوجية التي تعلي من قيمة الشهداء، وتصور بشكل مميز قبور الأسلاف المجاهدين.

المقطع العاشر:

في المقطع التالي يتداخل الوصف مع السرد والحوار وفي النهاية نجد الوصف؛ حيث نتابع صورة الأخ الذي تجره خطى ثقيلة... وهو وصف بالفعل ثم نتابع اكمالا لصورة الأخ عن طريق وصف بالرؤية وتعبير ضمنها عن رؤية الشخصية تبدأ من: نظر عبدالمالك...).

⁽¹⁾ أحمد نصر، مرجع سابق، ص16.



"عاد إلى شرفة المدخل جلس على الكرسي نفسه الذي غادره منذ ساعتين وأشعل سيجارة. يبدو أن أخاه أحس بمقدمه فجاءه تجره خطوات ثقيلة مهينة تأوه وهو يتهالك على الكرسي قبالة نظر عبدالمملك إلى وجهه المتقلص فبدت له تلك التجاعيد الخفيفة أخاديد آخذة في الغور فقال:

- أنت ترهق نفسك أكثر من اللازم يا محمود." (1)

يحقق وصف الأخ الوظيفة التمثيلية سردياً فتبرز صورته أمام المروي له بشكل أكثر وضوحاً بينما من جانب الوظائف الدلالية فإن الوظيفة الإشارية حاضرة في البداية والراوي يتحدث عن عودة الشخصية للمكان نفسه الذي كان يجلس فيه كما نتابع الوظيفة التعبيرية التي تظهر فيها العلاقة بين الشخصيات وتعبر عن محبتهما لبعضهما وروحا ملودة بينهما.

المقطع الحادي عشر:

نتابع في المقطع التالي دخول عبدالمالك الشخصية الرئيسية إلى بيته وما يحصل من أشياء يراها، وهو مقطع وصفي يتداخل فيه الوصف بالرؤية مع الوصف بالفعل لنتابع ذلك:

"فيما دخل عبدالمملك بيته أنار الإضاءة كلها، الصالة والمطبخ وحجرة النوم وحجرة المكتبة؛ فتوهج البيت داخل أجواء منطفئة في سكون الليل. فتح نافذة المكتبة وطل على شجيرات غافية مريدة تحت ضوء القمر، انحنى على حافة النافذة ينفث دخان تبغه في وجه الليل، رحل عركته التجارب العادية فانبرى وسطاً.. وسطاً في عمره وسطاً في طموحاته، وسطاً في حياته.. ولا ينقصه شيء من اعتدال قامته سوى امرأة وسطاً تملأ البيت بعبير الأنثى المفقود. امرأة أخيه وبناتها قمن بالواجب وأكثر، نظفن البيت، هوين الحجرات، ويرسلن الطعام مع كل وجبة؛ وأشعرنه أنه وسط الاهتمام. لكن عيونهن تتساءل وهن ينظرن إلى شعيرات بيضاء تنقش سواد الرأس.. لماذا يا عمنا؟.. تأخرت حتى ملت عن الاعتدال الموروث.. أنت أكبر عزب في القرية." (2)

الوصف بالفعل يبدأ بعد السرد هنا: فيما دخل عبدالمالك بيته، أنار الإضاءة كلها... بينما يبدأ واضحاً تحول الوصف لوصف بالرؤية لنتابع رؤية عبدالمالك: وطل على شجيرات، وتحقق الوصف للشخصية (عبدالمالك) عن طريق إبراز الراوي رؤية بنت أخيه للشيب يكلل رأسه. تختلط في المقطع السابق الوظيفة السردية مع الوظيفة التمثيلية التي تتحقق بالمشهدية الناتجة عن حركة الشخصية في بيته وما يقوم به من أشياء،

(1) احمد نصر، مرجع سابق، ص17.

(2) احمد نصر، مرجع سابق، ص18.

من زاوية الوظائف الدلالية يتحقق في البداية حضور الوظيفة الإشارية والراوي يحدثنا عن دخول عبدالمالك للصالة، ثم نتابع الوظيفة التعبيرية، حيث نتعرف أكثر على طبيعة العلاقة بين العم وأسرته وأخيه وكل تصرفات أسرة الأخ والتي توصف وتعبّر عن الوضع الحميمي بينهم، بينما نجد حضور الوظيفة الرمزية تبرزها صورة الشيب. فالشيب هنا يعمل ضمن وظيفة رمزية فهو يعبر عن عمر الشخصية ووجوب دخوله في قفص الزواج ويشير إلى أن عمره تجاوز مرحلة الشباب.

المقطع الثاني عشر:

هذا المقطع يصور الراوي فيه لقاء عبدالمالك بصديقه القديم- الذي صار ثريا- شعيب الحمزاوي، لنتابع المقطع التالي، الذي يتحقق من خلال الوصف بالفعل في البداية؛ حيث عبدالمالك مع السائق يتجه إلى فيلا صديقه شعيب، ثم يبدأ الوصف بالرؤية وهو يبدأ من جملة (غمرت عبدالمالك روائح الفل ومسكا لليل وهو يلمح ...) لنتابع ذلك:

"تطلع من بين مصراعيه حارس، وأسرع يفتحه، دخلت السيارة بضعة أمتار إلى جانب الفيلا الأنيقة الغارقة في أحضان الأشجار الخضراء وهدوء الطبيعة، وهو يهم بالنزول أشار السائق قائلاً:
- ها هو شعيب بيه قادم من ملعب التنس.

غمرت عبدالمالك روائح الفل ومسك الليل وهو يلمح شعيب الحمزاوي قادماً بملابس التنس البيضاء خطأ نحوه على ممرات مبلطة مهندسة متقنة بين النجيل المخملي الغض، ثم توقف مذهولاً عندما ظهر على يمينه وراء "الفيلا" حوض سباحة رائق بزرق السماء وعلى حافته تنتشر بضع طاولات وكراسي بيضاء ومن ظهر الفيلا يمتد بناء يفتح ثغره في مواجهة الحوض على هيئة (كابينة) تطل عليه، خف شعيب خطوه عندما رأى صاحبه يقف في انتظاره فيما ظلت الفتاة التي كانت تلعب معه تمشي متباطئة ورائه. تعانق الصاحبان بشوق حار غمرتهما لحظة اللقاء بنشوة حميمية، فغابا عما حولهما لحظات، وكانت الفتاة قد وقفت تراقب ومضرب التنس في يدها، قال شعيب ومازالت يده في كف صاحبه معرّفاً بهما:

- كاترين.. عبدالمالك صديق. ورفيق الطفولة والشباب.

تطلع عبدالمالك إلى العينين الخضراوين، والشعر الأشقر المربوط بشريط أزرق وقال:

- أهلاً.. أهلاً.. (1)

(1) احمد نصر، مرجع سابق، ص 37-38.



يتحقق في المقطع الوصفي السابق الوظيفة التمثيلية حيث نتابع مستوى المعيشة المميز الذي يعيش فيه شعيب بينما على مستوى الوظائف الدلالية هذا أحد المقاطع القليلة التي نجد فيها الوظيفة الجمالية أو التزيينية؛ حيث يتم رسم صورة مميزة لمعيشة شعيب وفيلته والفتاة بجانبه، فكلما هو موجود في إطار الفيلا مميز ومنظم بدقة ورائع.

المقطع الثالث عشر:

نتابع في المقطع الوصفي التالي اختلاط الوصف والسرد وذلك عندما يرسم الراوي صورة الشخصية (الحاج عبدالله) بين زمنين؛ زمن الحاضر حيث يبدو كبيرا متغضن الجبين متهدل اليدين، وقديما زمن فتوته وعودته من حرب فلسطين في شبابه وهو يبدو قويا مهيبا، وكل الوصف التالي وصف عن طريق الرؤية من خلال شخصية عبدالمالك وما يراه، لنتابع ذلك هنا:

"...فيما نظراته تتأمل ذراعي الرجل العاريتين، ووجهه المغضن، والشارب القصير الأشهب؛ فعادت به هذه السمات إلى الماضي وكأنه اختزل من عمره ثلاثين سنة ليراه فتى في عز رجولته وصباه عائداً من حرب فلسطين، يومها كان يمد ذراعه المفتولة في الهواء ويقول للصبية ترجحوا وكنا نرى فيه البطل الذي تطوع للجهاد؛ وعاد بجرح في عضده مندمل، وبآخر في قلبه مفتوحاً، وبحكايا توج بها تاريخ قرية منسية حتى أن أهل القرية صاروا يدعونه عبدالله المجاهد تفرقة بينه وبين ابن عم له يشاركه نفس الاسم. ويوم عرسه مازال يضح في رأس عبدالمالك. عرس ريفي يموج بالفرسان والأهازيج والشباب الذي يتبارز ويستعرض فتوته في حجر القوز ويذكره عبدالمالك كأنه الآن وكأن القوز لم يرحل"⁽¹⁾

يتحقق في المقطع السابق الوظيفة السردية من خلال العودة الزمنية وسرد تاريخ الحاج عبدالله وقوته، ولتحقيق ذلك تتعاضد من جانب آخر الوظيفة الدلالية الجمالية، وذلك برسم صورة فيها هزلة الشخصية وضعفه حالياً مقابل قوته وفتوته في الماضي، وهو ما يجعل حضوره لدى القارئ أكثر فعلا وتأثيرا.

المقطع الرابع عشر:

في المقطع التالي يتم وصف المكان؛ حيث يتحرك عبدالمالك بسيارته في المدينة ويتم الوصف المختلط بالسرد وهو من نوع وصف بالفعل، ثم ينتقل عبدالمالك في تذكر (ازدهار)؛ ومصر حيث صورة ازدهار صاحبتة القديمة، لنتابع هذا المقطع وفيه وصف بالفعل ثم وصف بالرؤية والشخصية يتذكر أو يتابع خواطره، النقطة

(1) احمد نصر، مرجع سابق، ص 57.

المميزة هنا أن الشخصية انتقل من صورته متحركا بالسيارة ووصف المدينة حوله إلى صورة ازدهار متحركة وهي تمشي في شوارع المدينة، لتتابع ذلك:

"استقل عبدالملك سيارته عبر شوارع القرية الضيقة حتى استلمه الطريق الدائري الثاني؛ فانساق معه متمهلاً، لزم يمينه وترك السيارات المجنونة تنزلق عن شماله كالسهام، فتح الزجاج فهفهه هواء المساء وهفهف شعره، أسند ذراعه اليسرى على حافة الباب وتابع حواطره، رحلت به إلى ضفاف النيل، "ازدهار" تخطو الهوينى بملابس فضفاضة؛ وبسمة مشرقة ووجه نقى بريء براءة الملائكة من المساحيق.. خرجت من الفن فاغتسلت ولبست ثيابها.. يا الله.. هل حوصر الفن في علب الليل؟.. هل صار ذنباً يوجب التطهر في مرحلة من مراحل الارتقاء؟.. كأنه بما تهمس: أنا عدت إلى زمن الطفولة.. زمن الاقتراب.. زمن الفن.. الإشراق.."⁽¹⁾

تمّ في المقطع الوصفي السابق وصف حركة عبدالملك بسيارته داخل المدينة، ثم انتقل إلى ازدهار التي تم وصفها وصفا تزيينياً مميّزا فظهرت في قمة الجمال الجسدي وكذلك الجمال الروحي وهي توصف بكونها ثابتة عن الفن وعلب الليل. الوصف السابق فيه وصف بالفعل في البداية ثم وصف بالرؤية، كما نجد فيه الوظيفة السردية حيث نتابع قصة عبدالملك ما يدور في رأسه، بينما من جانب الوظائف الدلالية كان يتحقق في المقطع الوصفي في البداية البعد الإشاري أو الوظيفة الإشارية، ثم تحقق فيه الوظيفة الجمالية أو التزيينية وهي من خلال ما يتصوره عبدالملك حول ازدهار ويتم تصويرها مثل ملاك.

المقطع الخامس عشر:

نتابع هنا مقطعا وصفيا يتم عن طريق الرؤية؛ حيث منى تعيش حالة انكسار بعد وضع صاحبها في الحبس مجاهد، كانت ترى الخريف والسقوط في كل شيء، لتتابع المقطع التالي:

"مع المساء خرجت إلى الجنيحة الخلفية، تأملت شجرة الفل تمد غصوناً باهتة الاخضرار من جذور الخريف. ثم مرت من تحت الدالية تنثر على رأسها وريقات جافة» تحسست جذع شجرة المشمش الحشن.. ثم اعتلت الدرجات الثلاث وانحنت على السور تمد بصرها بجنو إلى الشرفة في الأفق البعيد.. همهمت بتعابير شاعرية من فيض القلب"⁽²⁾

(1) احمد نصر، مرجع سابق، ص،78.

(2) احمد نصر، مرجع سابق، ص177.



يحقق الوصف السابق تصوير نفسية الشخصية الشاعرة بالانكسار فغصون شجرة الفل باهتة والدالية أوراقها جافة متناثرة وجذع شجرة المشمش خشن. يحقق الوصف السابق الوظيفة السردية كما نجد من جانب دلالي الوظيفة الرمزية فكلما يتم تصويره في إطار حالة الشخصية النفسية المرهقة تعبر عنها بشكل غير مباشر.

خلاصة:

كان للصيغة السردية المستخدمة دورا مهما في جعل الوصف يتم (تقريبا) بطريقتين فقط، فالراوي كان يستخدم ضمير الغائب ولا تظهر أقوال الشخصيات إلا في الحوار؛ حيث كان الوصف بالقول نادرا جدا لصالح الوصف بالرؤية والوصف بالفعل. وكان كلا من الوصف بالفعل والوصف بالرؤية يتعاضدان ضمن نفس المقطع الوصفي بحيث يبدأ غالبا الوصف بالفعل ثم تنتقل للوصف بالرؤية وهي الطريقة الأكثر استخداما في هذه الرواية. وهو بالطبع نتيجة لحرص الراوي على إبراز رؤية الشخصيات خاصة الشخصية الرئيسية عبدالمالك.

كما تمّ توظيف الوصف بالرؤية ثم الاسترجاع زمنيا من خلال وعي أو تفكير الشخصية أو التأمل في المستقبل بحيث كانت رؤية الشخصية ضمن الوصف أداة مميزة للعودة والاسترجاع لرسم باقي معالم الرواية أو شخصياتها أو علاقات الشخصيات.

كانت بعض المقاطع الوصفية من نوع الوصف بالفعل يتم فيها أنسنه الجمادات خاصة المقطع الوصفي في بداية الرواية حيث كانت تلك الصور فيه تعبر عن قلق الشخصية وما تعيشها من أبعاد داخلية متوترة.

على مستوى الوظائف الحكائية فإن الوظيفة السردية كانت الأكثر حضورا حيث تتضمن الوظيفة السردية الإخبار والتعريف بالمكان والزمان التي تقع فيهما الأحداث وهو ما يجعلها وظيفة مهمة وأساسية، كما أن للوصف دورا مهما في تنظيم الأحداث زمنيا وهذا يدخل في صميم الوظيفة السردية؛ حيث يقوم الوصف بتنظيم وترتيب الأحداث استباقياً أو استرجاعياً وتنظم بذلك مادة الحكاية سردياً كما يقوم بتنظيم الإخبار وجعل النص متماسكا منتظما.

الوظيفية التمثيلية كانت حاضرة أيضا وهي تتقاطع مع الوظيفة السردية فنجد أحيانا الوظيفة التمثيلية ضمن بعد سردي إخباري.

كما كان هناك حضور للوظيفة التعليمية بسيط خاصة عند الحديث عن بعض القواعد أو عن بعض العادات والمفاهيم في القرية.

الوظائف الدلالية حضرت في مجملها وتنوعت فكانت الوظيفة التعبيرية أداة لتعريفنا بطبيعة العلاقة بين الشخصيات، كما كان للوظيفة الرمزية دورا مهما في الوصف الذي يتضمن بعدا ساخرا والوصف الذي يحيل لأشياء مضمنة. كما أستخدم الوصف التزييني أو الجمالي وكان لرسم صورة ما مميزة لشخصية من الشخصيات كشخصية ازدهار أو تصوير فضاء مميز كفضاء فيلا شعيب الحمزاوي. كما تم توظيف الوظيفة الإشارية بكثرة، فهي حاضرة لتحديد وتعيين الأماكن، والوظيفة الإيديولوجية أو القيمية كانت حاضرة ولكن بشكل محدود.



المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- 1- احمد نصر، القرية التي كانت، دار الكتب الوطنية - بنغازي- ليبيا- الطبعة الأولى - 2011.
- 2- قدامة بن جعفر - نقد الشعر - تحقيق محي الدين عبد الحميد - دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
- 3- لسان العرب - ابن منظور - دار بيروت للطباعة والنشر -1968- المجلد التاسع.

ثانياً: المراجع:

- 1- سيزا قاسم - بناء الرواية - الهيئة المصرية للكتاب - الطبعة الأولى- 1993.
- 2- فليب هامون - في الوصفي - ترجمة سعاد التريكي - شبكة المعلومات.
- 3- محمد نجيب العمامي - كتاب في الوصف - دار محمد علي للنشر- تونس - الطبعة الأولى.
- 4- مليكة بوجفجوف - بنية الوصف ووظائفه في ألف ليلة وليلة حكايتا: "الجمال والثلاث بنات" و"السندباد البحري" رسالة ماجستير في الأدب العربي القديم - كلية الآداب واللغات جامعة منتوري - قسنطينة - الجزائر - السنة الجامعية 2008-2009 - شبكة المعلومات.



**Literary Description of Ahmed Nasr -
The Novel "The Village It Used To Be", as an example**

***Omran Awad Ben Rween**

Abstract:

The description is a component of the narrative discourse, its effect represented in the aesthetic and artistic value it adds to the literary text. This research seeks to define description, its structure, functions, and relationship to narration; as theorized by those who are interested that: narrative text is an output of discourses, each one of these discourses has a designated structure, methods, and functions. The skilfulness and mastery of the writer reveals itself in his capability to create a type of relationship between the description component and narration one. Further, the research identifies how description can be included in the narration (description by means of relating, acting, or viewing). In addition; the research tackles with the description structure (descriptive system - descriptive syllable - main structure of description - syllabic structure of description). Finally; there will be introduced the description functions in their two types: narrative functions, i.e., educational/informational, depictive, narrative, and semantic functions, i.e., demonstrative, symbolic, expressional, value/ideological, aesthetical, or the decorative-innovative function.

The Ahmed Nasr's novel "The Village That Used To Be", can be seen as a text loaded with the description techniques as the writer uses different patterns of description and various functions that capture the reader making him lives into the spatiotemporal context of the events.

* College of Technical Sciences